مستقبل الإسلام.. والقرن الخامس عشر الهجرى

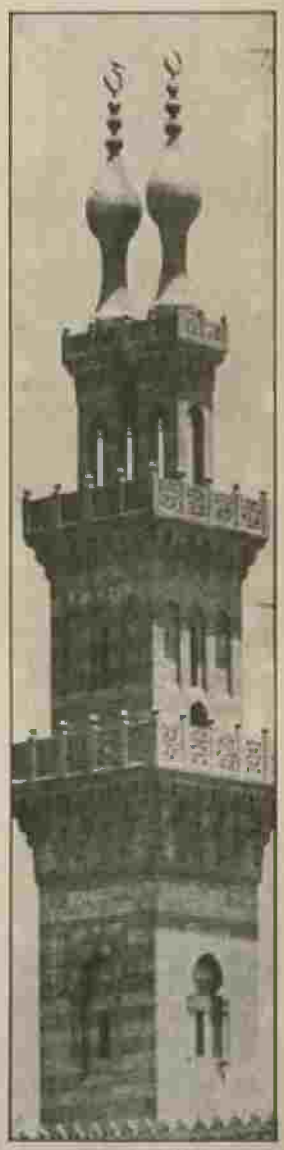

١٤٠١ هجرية

وهنا يكون الأمل فى نور الله - أن تشع هدايته فى القرن الخامس عشر الهجرى

ولكى لايبصر الله المرسل به الا اذا هم بصروه اولا - ان تبصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم

ان الدعوة الاسلامية لا تأت وقت ان جاءت - صدفة - انما كانت بقدر الله ومشيئته - فالدعوة الاسلامية دعوة إلى اعتبار القيم الإسلامية فى حياة الناس.

إبراهيم مصبّح

فى مواجهة طغيان المادية - ومصادفة هذه الدعوة رهنا فى التأويس مرهونة بوصول طغيان المادية إلى القمة فى حياة الأفراد والمجتمعات أى مادامت المادية فى طريقها إلى الطغيان - ولم تصل بعد إلى القمة - فإن قبول الدعوة إلى القيم الإسلامية لايجد محالا إلا مجال الشباب - باعتبار أن فيه قواها لم تغلاها الإفرازات المادية بعد - ومن ثم يطارد الإيمان باقة فى قلوبهم هذه الإفرازات ويصارع معها

وقدر الله ومشيئته فى انطلاق هداية الله يتحققان إذن عندما تبلغ الحياة المادية أوجها - وعندما يبلغ الطغيان بالمادة أوجه - عندئذ لا تحارب القيم الإنسانية فى حياة الناس من حاكم أو زعيم فحسب - ولايسود العبث والفساد فى السلوك والروابط فقط - إنما الذى يسود أيضا اضطراب الناس من المواقع العقلية - ومن أنانية الأفراد وانهاريتهم - وكذلك ضعف الأمل فى نفوس الناس - فضلا عن تعاونهم - كل يريد لذاته فقط - كل يبغى مصلحته على حساب مصلحة الآخر - لايعرف الإيثار ولاالحب فى مجتمع - إنما الأمر الذى يعرف فقط هو القوة "قوة الجاه - قوة الحصانات - قوة المال - قوة العصبية أو الحزبية"

إذن فهنا أمران أو مقدمتان لابد من انتظار وجودهما عند الحكم على مستقبل الإسلام فى القرن الخامس عشر الهجرى كما هو الرضع واقعا على عهد أية رسالة سماوية - ويقرر المفكر الإسلامى الدكتور محمد البهى - فى كتابه عن مستقبل الإسلام والقرن الخامس عشر الهجرى - الذى صدر له عن مكتبة وهبة بالقاهرة - ان هذين الأمرين أجملتهما هذه الآية الكريمة - الله ولى الذين آمنوا - يخرجهم من الظلمات إلى النور -

والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات -

أولا - الدعوة الإسلامية على النقيض تماما من طغيان المادية - فبينما تسود فى عهد الدعوة الإسلامية - القيم الإنسانية من التعاون - والمشاركة - والمواد والأخوة - فى حياة الناس - إذ بالعكس تماما من الأنانية - والعداء القوى على الضعيف - وتحكم المادة وحدها هى السائدة فى عهد طغيان المادة

ثانيا - يتحول الأمر إلى نقيضه عندما يبلغ الأمر نهايته - ومعنى تحوله إلى نقيضه قبول الناس بهذا النقيض ورضاؤهم رضاء نفسيا به إلى درجة التضحية فى سبيل بقائه - عندما يبلغ الأمر حدا خلق التوتر منه - وتنمى زواله - وتطبيق ذلك - أنه حقة أن يبلغ الطغيان بالمادية الدرجة التى خلق التوتر - وتنمى من أجل ذلك زواله - يولد قبول النور الإلهى - لدى الأفراد والمجتمعات - وهو نور الرسالة الإسلامية التى تدعو إلى الروابط الإنسانية والسمو الإنسانى الكريم فى حياة الناس - والتى تؤثر المعانى والقيم الإنسانية عندما تتعارض الإفرازات المادية أمام الإنسان

طغيان المادية اذن - وهو الطاغوت - نقيض لسيادة القيم الإنسانية ولكن لا يخلق الناس من سيادة القيم الإنسانية فى حياتهم - فلابد يكون بسبب الطاغوت أو سبب طغيان المادية وحدها - فطغيانها مصدر الشرور والأمراض الاجتماعية والانحرافات الخلقية - وسيود العلاقات والخصومات بين الناس جميعا -

هذان الأمران وجدا عند كل رسالة سماوية جاء بها رسول من عند الله وجد الأمر الأول - فى دعوة الإسلام - أو الدعوة إلى القيم الإنسانية فى رسالة الرسول التى طلب منه أن يبلغها إلى مجتمع بعينه -

ووجد الأمر الثانى - وهو طغيان المادية فى المجتمع الذى أرسل إليه بالرسالة الإسلامية -

فرسالة صالح إلى ثمود - توافر فيها طلب العدل بين الضعفاء والأغنياء على السواء فى مجتمع ثمود - ومجتمع ثمود كان قد طغت فيه المادية حتى أصبح الحق والعدل فى جانب الزعماء الأغنياء وحدهم - وهم الأثرياء الذين احتفظوا بالمراعى الخاصة - ومياه الآبار العامة لأنعامهم وحدها - تاركين الضعفاء وهم الأتباع يتذللون لهم من أجل مشاركة فى المرعى والسقى

فالدعوة إلى الحق والعدل دعوة إلى القيم الإنسانية - ومنع الضعفاء من المشاركة فى الحياة العامة طغيان للمادية - فالكبار والزعماء يريدون أنهم وحدهم - لاغيرهم أحق بالحياة - فهم أنانيون والقوى تحت إغراء الزعامة -

ورسالة شعيب إلى أهل مدين - توافر فيها أيضا طلب العدل فى المعاملات التجارية - وبدعم نفس الناس أشياءهم عن طريق أصحاب ومؤسس الأموال - ويقول الله فى ذلك - ويالهم أوفوا المكيال والميزان بالقسط - ولاتبخسوا الناس أشياءهم ولاتعثوا فى الأرض مفسدين - والعدل قيمة رئيسية بين القيم الإنسانية - كما ساد فى مجتمع مدين بخس الناس أشياءهم - وهو طغيان عن طريق المادة حتى أصبح هذا الطغيان عادة وعرفا - ولذا استنكر التجار وأصحاب ومؤسس الأموال دعوة شعيب إلى العدل - عندما دعاهم إليه -

" قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء "

ودعت رسالة موسى بنى إسرائيل إلى تحرير الطغيان فى الاتجاه المادى بعد أن ساد فى مجتمعهم - وكما دعت إلى نبى القيم الإنسانية فى علاقتهم بعضهم ببعض - ودعوة الله هى نبى هذه القيم - وآيات القرآن الكريم تقص ماكان من طغيان بنى إسرائيل طغيانا ماديا لأنهم آثروا الدنيا وحدها - بلغ قمة وأوجه - حتى أصبح وقت الدعوة إلى القيم الإنسانية فى رسالة موسى قائما بالفعل - فجاء موسى عليه السلام بالرسالة لهم -

وصل الأمر فى مجتمع عيسى من بنى إسرائيل الذى أرسل إليه - أن استغل قبل رسالته مباشرة رجال الدين الناس - وأحلوا أموالهم مرة باسم (النذور) وأخرى باسم (الهبات) وجمعوا بحكم مركزهم الدينى ثروة طائلة من أقوات الفقراء والمساكين ومعنى ذلك أن مجتمع بنى إسرائيل

الذى أرسل إليه عيسى المسيح وصل الاتجاه المادى فيه إلى الطغيان كذلك . إلى درجة : أن الزعماء من بنى إسرائيل – وهم رجال الدين . كانوا القدوة السيئة فى جمع المال وتكديسه . وحرمان الفقراء وأصحاب الحاجة منه .

ورسالة عيسى المسيح هى رسالة الإسلام . أو رسالة القيم الإنسانية فى علاقات الناس بعضهم ببعض . فالمقدمات واحدة :

إحداها على أثر الأخرى مباشرة أو مع الأخرى :

– طغيان المادية

– والدعوة إلى القيم الإنسانية

ورسالة الرسول محمد ﷺ . هى أيضا رسالة القيم الإنسانية . جاءت بعد أن بلغ الطغيان المادى أقصى ما يبلغه . وقت مجيئه . وهذا الطغيان كان فى شبه الجزيرة . كما كان فى الحوار فى الإمبراطوريتين

الرومانية والفارسية . وبعثت الرسول ﷺ . إذن إلى امبراطور فارس . وامبراطور الرومان . كانت حتمية . لتبليغ رسالته إلى قريش فى مكة . وإلى قبائل العرب الأخرى فى شبه الجزيرة . وكانت الفتوحات الإسلامية بعد وفاة الرسول ﷺ . هى كذلك من تمام تبليغ الرسالة الإلهية

والجهاد فى سبيل الله يعتبر ضرورة كان على المسلمين أن يقوموا به لذات الرسالة . لأنها رسالة الإسلام أو رسالة القيم الإنسانية إلى كل مكان وصلت فيه المادية

ريح البيع

ما من قوة على وجه الأرض . من الناس . يفرض الله فرضا حسبما يشاء له أضعافا كثيرة

قال الصحابى أبو الدحداح أو يستقرض الله من عباده يا رسول الله . قال الرسول نعم قال الصحابى أبو الدحداح : أعندى يا رسول الله يقدم إليه يده . وكانت له بستان فيه ستمائة نخلة . فجاء إلى البستان . فأخرج ما فيه من

وخرجت المرأة من البستان . وهى تقول ربح البيع يا أبا الدحداح

إذاعة صلاة الجمعة من المنصورة

تذاع بإذن الله صلاة الجمعة القادمة – ٩ مايو – من مسجد النسخ حسن بالمنصورة من إذاعة البرنامج العام . بمناسبة احتفالات المنطقة بعيدها الذهبى

وأرادها فيما مضى وأرسل بها رسولا عندما يتفاقم خطر المادية ويصل أمرها إلى الذروة فى المجتمعات البشرية فالجهاد المفروض بعد عن الرسالة بالرسول محمد ﷺ . وهو فرض عين لا يوقف وقت واحد . إنما يؤدى بالنسبة لكل فرد حسب إمكانياته وحسب وسيلته . التى يباشره بها . والحديث الشريف الذى يقول « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده . فإن لم يستطع فبلسانه . فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » . يوضح أن الجهاد فرض عين إلى يوم البعث . وأن له صورا عديدة حسب الاختلاف فى الاستطاعات البشرية .

* فالشباب : يصرف قوته فى أخذ نفسه بالتوجيه الإسلامى والتربية الإسلامية . وسط هذه الخاطفة والمادية التى تحيطه بالفتن والمغريات والمتع المادية

والأغنياء : يجب أن يباشروا جهادهم بدعم التوجيه الإسلامى والتربية الإسلامية . والتوابط على أسس إنمائية إسلامية . مما يتفقونه فى سبيل الله من أموالهم

* وأصحاب الجاه أو السلطة : مجاهدتهم وبسطتهم فيكفيهم أن يقفوا ضد الفساد والتحلل فى صوره المختلفة والفساد والتحلل من مظاهر المادية

وأصحاب الفكر أو القلم * عليهم أن يباشروا الجهاد المفروض عليهم فرضا عينيا فى توضيح الإسلام للشباب والعامة وفى الرد على ما يثار من شبهات . أو على ما يذكر من صور الانحراف والإلحاد

أما أرباب العصبة : فجهادهم فى سبيل الله : أن يسخروا قوة هذه العصبة فى توجيه الخير . ودفع الشر والباطل

وبأداء الجهاد فى ضوره المختلفة وفى فورية لا تقبل التأجيل : يبدأ دفع الباطل . والقضاء الاعتداء . ورد الطغيان المادى . وكلما انحسر طغيان المادية اتضح المجال لتثبيت القيم الإنسانية

فأقم وجهك للدين حنيفا

التشريع الإسلامى عدة خصائص تجعل طريقه إلى قلوب البشر سمحا سهلا . فى وجد الدعاة الواعين القادرين – على من حكمة وحصافة على التوصيل

والناس صنفان : صنف تغلب الخيلة ويصورها . ويؤديها سليمة وافرة . وصنف آخر هو القدرة على الفقه والاستنباط

وأول الصنفين ضرورى لإنجاح مهمة الصنف الآخر

وقد اجتمع الأمران فى رسل الله تعالى . الأمانة فى التبليغ مع الفقه والفهم

وهناك أمور أخرى تسمو بالتشريع الإسلامى . وهى نبع من جوهره . ونشأ من التناسق الفريد . والتصور الحكيم الفكم للحياة والناس . ضرورة أنه من لدن حكيم خبير خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه . فشرع له ما يصلحه . ويصلح له . ويخلق له خير الدنيا والآخرة . ويتجه الخيلة الطيبة فى عاجل أمره وآجله . وقد قال تبارك وتعالى : « يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم »

ومن هذه الخصائص الاتساق التام بين الإسلام وفطرة الإنسان . وإذا قلنا الفطرة فإنما نعنى الخصائص والنوازع الإنسانية التى خلق الله الإنسان عليها . بعيدا عن التأثر بموروثات الآباء والأجداد . أو مؤثرات البيئة التى تزم الإنسان بأنواع من السلوك . والأعراف . لا يستطيع عنها حولا . ولا يملك منها خلاصا .

وهذه الفطرة كما هى عند منشأه بيئة أو تقليد لا تجد عسرا فى قبول الدين الحق . والانصياع له . لأنه عندما يأتيها الدين الحق من عند الله تحس به متجاوبا مع مطالب النفس وآمالها . تحذرا مما قد تحذر منه يطمئن

يقول تبارك وتعالى عن دين الفطرة : « فأقم وجهك للدين حنيفا . فطرة الله التى فطر الناس عليها »

ويتحدث الرسول ﷺ عن هذه الفطرة مادامت تتعرض عن المؤثرات الخارجية فيقول : « كل مولود يولد على الفطرة . فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه »

فالفطرة الإنسانية تعنى الاستعداد التام للخير . والتأهل له . والله الذى خلق الإنسان فى أحسن تقويم . منحه الدين القيم الذى يسير به فى طريق . فإذا تغلب عليه الهوى . وطغت عليه سلبيات البيئة ردته إلى أسفل سافلين

والإنسان والدين كلاهما من صنع العلم الحكيم « صبغة الله . ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون »

والاتساق الدين مع الفطرة السوية تؤكده مظاهر عدة

أولا : بساطة العقيدة

فعقيدة الإسلام تتلقاها النفوس فى يسر . إذ هى تقوم على أسس فطرية سوية . لا تجهد العقل فى تصورها . ولا فى الاقتناع بها : « وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم »

فالذات الإلهية واحدة . والله وحده المستحق للعبادة

أما وحدة الذات ووحدة العبادة .

والفطرة السليمة لا يمكن أن تقبل غير هذا .

ومن عدا الله وما عداه عباد متساوون بخصائصهم بالتقوى وصالح الأعمال . فليس فى عقيدة الإسلام غموض أو ألغاز . ولا تحتاج فى إدراك جوانبها إلى مقدمات فلسفية ضاربة فى الإبهام . ولا تضطر خلق رموزها غير المفهومة إلى اختراع التقمص وابتكار المسرحيات

والعلاقة بين العبود والعباد لا تحكمها شفيع أو وسيط . فليس بين الله وعباده بشر أى بشر يقدم أو يؤخر .

وبكلمة تتصور فطريتها . ولمسكها المشاعر الإنسانية البسيطة بحكمة واقتدار أن تسمع أو تقرأ هذه الآيات

يقول تعالى مخاطبا نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام . وفى توجيه الخطاب له فى هذا الموقف مغزى عظيم : « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان »

ويقول تعالى : « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله . إن الله يغفر الذنوب جميعا »

ويقول تعالى : « قل لا أقول لكم عندى خزائن الله . ولا أعلم الغيب . ولا أقول لكم إنى ملك . إن أتبع إلا ما يوحى إلى »

والنبوة مكانة سامية يصطفى لها الله من يشاء من عباده . وهو أعلم حيث يجعل رسالته . والنبى بشر معصوم من الناس . ومن هوى النفس حتى يبلغ شريعة ربه سليمة وافرة

هذا لا نرى فى فهم العقيدة الإسلامية . ولا فى تصورها غموضا يجعلنا نقف أمامها فى حيرة بلا يقين . أو فى إذعان بلا فهم

د . السيد الطويل